الاجتماع السنوي السابع لمنتدى الإصلاح العربي

عالم يتشكل من جديد.. أين دور العرب؟

محمد التفراوتي

احتضنت مكتبة الإسكندرية بمصر مؤخرا، الاجتماع السنوي السابع لمنتدى الإصلاح العربي، الذي ناقش على مدى يومين دور العرب في تشكل العالم من جديد وموقع العرب في أفق مستقبل أفضل، شارك فيه مجموعة من الأساتذة والمهتمين، حيث تمت مناقشة مجموعة من المحاور، أهمها العناصر الحاسمة في تشكيل العالم اليوم، وكيف نصنع مستقبلنا في عالم يتغير، والثورة الرقمية والموقف العربي بين السياسة والإعلام إضافة إلى محاور أخرى.

العناصر الحاسمة في تشكيل العالم اليوم

أشارت الدكتورة آمال فرامي، إلى تمركز العرب على الذات وعدم مسايرة التحولات الكبرى على المستوى المعرفي وتكنولوجيا مقارنة مع قضية الهوية الدينية أو التاريخية أو الثقافية المعتبرة ضمن كأولويات. واعتبرت أن الديمقراطية مرتبطة والتنشئة الاجتماعية وتجارب قطاع التعليم الغير الناجحة والمتناقضة في آن واحد، منوهة بالديمقراطية الإلكترونية وذلك لكونها من إرهاصات الديمقراطية في العالم العربي وكمتنفس للشباب من خلال مواقع التواصل الاجتماعي والمدونات....

وتناول الدكتور أسامة الغزالي حرب عن حزب الجبهة الديمقراطية، إشكالية الديمقراطية كأحد العوامل المؤثرة في تشكيل المجتمعات المتقدمة؛ حيث إن هناك تلازما قويا بين الإنجازات العلمية والاقتصادية والثقافية، وبين الديمقراطية، مضيفا أن ما يميز الولايات المتحدة الأمريكية عن أوروبا هو أنها دولة نشأت على فكرة وقيمة الحرية.

في حين سلط الدكتور حسام بدراوي الضوء، على نتائج الأنظمة التعليمية بالمجتمعات العربية وانعدام روح المبادرة والإبداع، مع ضمور التسامح وقبول الآخر وذلك بفعل المناهج التي رسمناها لأنفسنا، إذ أن التعليم والعلوم والتكنولوجيا يعد المدخل الرئيسي لوثيقة الإسكندرية للإصلاح العربي والتي صدرت عن المؤتمر الأول للإصلاح العربي عام 2004، وشارك في صياغتها أكثر من 100 عالم ومفكر من 18 دولة عربية.

وأبرز فكرة تداول السلطة والمساءلة كأداة لتغيير المجتمعات العربية ويوجهها للديمقراطية؛ لكون استدامة السلطة دون مساءلة ينتج عنها فضاءات الفساد المختلفة.

كما أشار الدكتور إسماعيل سراج الدين إلى كون الديمقراطية ضرورية من أجل التنمية هي مقولة خاطئة علميا؛ مستشهدا بتقدم الصين وغيرها من الدول في ظل الديكتاتورية، وعليه فاستمرارية التقدم مرهونة بالديمقراطية؛ إذ أنها ليست سوى هدف في حد ذاته لأن هدفها الوحيد هو حماية حقوق الإنسان وكرامته.

وشددت الدكتورة موزة المالكي على كون الديمقراطية تبدأ من المنزل، معتبرة المجتمع العربي مجتمعا مقهورا. كما أشارت إلى أن الشخصية العربية تعاني من خلل يرتبط بالخوف من التغيير، وأن كل ما يأتينا من الخارج نخاف منه ونفسره بنظرية المؤامرة، رغم أن الغرب استفاد من الحضارة الإسلامية.

العالم يتغير: كيف نصنع مستقبلنا

وشهد اليوم الثاني من الاجتماع السنوي السابع لمنتدى الإصلاح العربي، جلسة عامة لمناقشة كيفية صنع المستقبل العربي في ظل عالم متغير، فضلا عن عقد عدد من الجلسات المتوازية قاربت «نظرة على الوضع الإقليمي العربي»، و«الثورة الرقمية»، و«التغيرات المناخية».

وذكر الدكتور سراج الدين، أن العالم في تغير مستمر مما يستوجب مراجعة السياسات العربية وتنسيق المواقف بين الدول العربية تجاه تلك التغيرات. إذ أن صنع القرار العربي لا يتم بالسرعة الكافية بما يتناسب مع التطورات التي تحدث في العالم كله، مؤكداً أن الأمر أدى إلى ضعف التأثير العربي الجماعي نتيجة تصرف كل دولة وفقاً لرؤيتها الخاصة.

وتحدثت الكاتبة راغدة درغام من زاوية سياسية عن دور العالم العربي في ظل التغيرات السياسية التي تحدث في العالم الآن خاصة بعد انتخاب باراك أوباما ليكون رئيس الولايات المتحدة الأمريكية واتخاذ الدول مواقف تتراوح بين التلهف وخيبة الأمل تجاه حكم أوباما.

وأشارت إلى عدم وجود عالم عربي موحد في هذا الخصوص، فمعظم الدول تتقبل الواقع الجديد والسياسيات الحالية من أجل حماية نفسها. وأكدت على أهمية أن يكون للدول العربية دور أساسي في إعادة تشكيل العالم الجديد، وذلك من خلال تبني إستراتيجية أساسية وهي التحدث بلغة المصالح مع الدول المحايدة.

وعن قدرة العالم العربي على التفاعل مع العالم الخارجي، قال الدكتور ماجد عثمان إن العرب يتمتعون بالصدارة بين الدول الغربية فقط في معدلات الزيادة السكانية. وأكد أن كل المؤشرات توضح أن الزيادة السكانية في الدول العربية يتزايد بشكل كبير وقد تصل في المستقبل إلى 600 مليون نسمة عام 2050، بحيث يتساوى عدد سكان العالم العربي مع عدد سكان دول أوروبا.

وأضاف أن الهرم السكاني في أوروبا يتجه نحو الشيخوخة، في حين أن الهرم السكاني للعالم العربي المتوقع عام 2050 هو هرم شاب مما يعتبر فرصة ذهبية لدفع الشعوب العربية نحو استغلال الطاقات الشبابية وزيادة الإنتاج.

الثورة الرقمية

وبخصوص المحور المتعلق ب «الثورة الرقمية»؛ فقد ناقش المشاركون موضوعات قاربت مجال الرقمنة والعالم العربي، ومستقبل اللغة العربية في ظل الرقمنة، وحقوق الملكية الفكرية في ظل الرقمنة.

واستعرض الدكتور إسماعيل سراج الدين؛ مدير مكتبة الإسكندرية، المشروعات الرقمية التي تقوم بها مكتبة الإسكندرية لتعزيز المحتوى العربي على الإنترنت بسواعد شباب مصري عربي عمره بين 22 و29 عاما، تحت قيادة خبراء في مكتبة الإسكندرية؛ ومنها مشروع إعادة نشر كتب التراث والمخطوطات التراثية، ومشروع الأرشيف الرقمي لذاكرة مصر المعاصرة، والأرشيفات الرقمية لجمال عبد الناصر والسادات وبطرس بطرس غالي وغيرهم، ومشروع موسوعة الحياة العربية، والمكتبة الرقمية العالمية، والمكتبة الرقمية العربية، ولغة التواصل الرقمية العالمية.

وتركز مكتبة الإسكندرية منذ إعادة إحيائها، يضيف الدكتور سراج الدين، على أن تكون رائدة في العصر الرقمي؛ خاصة في جانب اللغة العربية. وقد تأكد ذلك من خلال العديد من المشروعات الرائدة دوليا، والتي جعلت العالم يثق في مكتبة الإسكندرية؛ وهو ما تمثل في انضمامها للاتحاد الدولي للمكتبات الرقمية عام 2005، أي بعد ثلاث سنوات من افتتاحها. وأشار إلى قيام مكتبة الإسكندرية بلعب دور محوري في تأسيس أكبر مكتبة رقمية عالمية (World Digital Library – WDL) والتي أطلقتها مكتبة الكونجرس من مقر منظمة اليونسكو في باريس في إبريل 2009 بالتعاون مع عدد من الجهات العالمية. وتتيح المكتبة لمستخدميها من القراء والدارسين والمهتمين الاطلاع على كنوز العالم المعرفية والثقافية عبر هذا الأرشيف الإلكتروني الذي يتضمن مقتنيات أكثر من 30 مؤسسة عالمية.

هذا، وقد وصل عدد الكتب العربية المرقمنة إلى 150 ألف كتاب، يؤكد الدكتور سراج الدين، في كافة مجالات المعرفة، والعدد في تزايد مستمر. ويمكن لأي شخص تصفح هذه المجموعة الضخمة من الكتب من خلال الرابط الإلكتروني :http://dar.bibalex.org وهو الأرشيف الرقمي الذي قام بإنشائه المعهد الدولي للدراسات المعلوماتية بمكتبة الإسكندرية ليضم مجموعات الكتب المختلفة والصور والخرائط. ويذلل هذا الإنجاز صعوبة الحصول على الكتب التي نفدت طباعتها أو التي قد تكون من التخصص بما يصعب على ناشر الاستثمار فيها لقلة قرائها أو تكون كتبًا قديمة لا تخضع لحقوق الملكية الفكرية ولكنها تحتاج لنشر جديد بأعداد صغيرة.

ويعد تكوين المكتبة الرقمية العربية وإتاحتها للجميع على شبكة الإنترنت إسهامًا كبيرًا من مكتبة الإسكندرية لدعم الثقافة العربية في هذا العصر الرقمي الجديد، كما تكمن أهمية هذا المشروع في حفظ الكتب والمراجع التي تقتنيها مكتبة الإسكندرية من التلف أو الضياع، وهو يأتي أيضا ردا للتحدي الثقافي العالمي في ظل فقر المحتوى العربي على شبكة الإنترنت وضآلته مقارنة باللغات الأخرى، إضافة إلى ما يقدمه المشروع من خدمة فائقة لطلاب العلم والباحثين والأكاديميين و للجمهور عامة.

وأشار الدكتور إسماعيل سراج الدين إلى المكتبة الرقمية لـ «ذاكرة مصر المعاصرة» التي دشنتها مكتبة الإسكندرية أواخر عام 2008 (modernegypt.bibalex.org). و«ذاكرة مصر المعاصرة» هي مشروع بحثي علمي يهدف إلى رقمنة كل المواد التي ترتبط بتاريخ مصر المعاصر؛ من صور، ووثائق، وأفلام، ونقود، وطوابع، وصحف، وغيرها، في الفترة من عام 1805 إلى عام 1981؛ بحيث تصبح المرجعية الرئيسية لتاريخ مصر. حيث أن الموقع الإلكتروني لذاكرة مصر المعاصرة يتميز بسهولة التصفح والبحث داخله وتنوع المداخل؛ حيث يستطيع الزائر الإبحار في تاريخ مصر عن طريق أكثر من مدخل رئيسي منها: حكام مصر، وموضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وفنية وعلمية، وأحداث هامة مرت بها مصر خلال قرنين من الزمان في كافة المجالات، وأخيرا مدخل الشخصيات العامة وهو يضم مجموعة من أبرز الشخصيات التي أثرت تاريخ مصر السياسي والثقافي والاجتماعي.

واستكمالا لنجاحات مكتبة الإسكندرية على الصعيد الرقمي، وقّعت المكتبة ومؤسسة السميثونيان الأمريكية نهاية عام 2009، اتفاقية تعاون يتم بموجبها إنشاء «موسوعة حياة» (Encyclopedia of Life ؛EOL) إقليمية في المنطقة العربية. يشير الدكتور سراج الدين. إذ أن «موسوعة الحياة» مشروعًا دوليًا قائم بالأساس على الجهود التطوعية بدأ بتمويل خاص في الولايات المتحدة الأمريكية عام 2007 بهدف جمع وتوثيق معلومات عن كافة أنواع الكائنات الحية على الأرض؛ من نباتات وحيوانات وكائنات دقيقة، والذين يقدر عددهم بحوالي مليون و900 ألف نوع، خلال عشر سنوات، وإتاحتها مجانا على الإنترنت للعلماء والباحثين والطلبة والمعلمين والجمهور العام.

وذكر الدكتور سراج الدين، في نفس السياق، أن الإنترنت أتاح مجالاً واسعًا للتواصل بين الشعوب والحضارات، إضافة إلى توفير المعلومات والمعرفة على نطاق واسع للجميع دون قيود، إلا أنه في هذا العالم الزاخر بالانفتاح على المعلومات الثرية المتوافرة على الإنترنت، لازال حاجز اللغة يمثل عائقًا كبيرًا أمام عدد ضخم من مستخدمي الشبكة المعلوماتية، نظرًا للمحتوى المتنوع الموجود عليها والذي يعد غير متساو من حيث اللغات مع غلبة واضحة للغة الانجليزية، خصوصًا في المجالات العلمية مما يجعل الحصول على المعلومات غير عادل بين الشعوب المختلفة. لذا، بادرت الأمم المتحدة بإيجاد طريقة أكثر فاعلية لكسر الحاجز اللغوي بين الشعوب تختلف عن برامج الترجمة الآلية التقليدية، فأسفرت تلك الطريقة عن إنشاء لغة صناعية للحاسب الآلي يمكن من خلالها التمثيل المعرفي للمعلومات المكتوبة بلغة الإنسان بشكل يمكن للحاسب الآلي فهمه وتداوله عبر شبكة الإنترنت، فكانت تلك اللغة هي «لغة التواصل العالمية» (Universal Networking Language؛ UNL).

وبذلك تعمل لغة التواصل العالمية على نقل المحتوى المعرفي المكتوب بلغة طبيعية ما إلى «تمثيل وسيط» في شكل شبكات دلالية بواسطة برنامج للترميز الآلي (UNL Encoder) ثم بعد ذلك يمكن توليد نص مكتوب بأي لغة طبيعية أخرى من تلك التمثيل الوسيط بواسطة برنامج للتوليد الآلي (UNL Decoder). وهكذا يمكن للغة التواصل العالمية أن تعمل كوسيط بين جميع اللغات الطبيعية لتقدم المعلومات المطلوبة للشخص الذي يبحث عنها بلغته الأم، مما سيكون البنية التحتية للغات المختلفة ليتم استخدامها في توزيع، واستقبال، وفهم المعلومات متعددة اللغات.

لتحقيق ذلك، تم إنشاء شبكة عالمية من فرق بحث وتطوير، يعمل بها متخصصون في علم الكمبيوتر لتطوير البرامج الخاصة بالنظام، ولغويون لتكوين المصادر اللغوية ودمجها مع نظام لغة التواصل العالمية. تعمل أيضا مجموعات مختلفة من إدارات الجامعات والمراكز البحثية حول العالم تحت مظلة مؤسسة لغة التواصل العالمية الرقمية لتطوير نظام لغة التواصل العالمية تبعًا للغتهم الأم.

وفي هذا الإطار، أشار الدكتور إسماعيل سراج الدين إلى أن مكتبة الإسكندرية تستضيف مركز لغة التواصل العالمية الخاص باللغة العربية، مضيفا أنه رغم أن هذا المركز يعمل فيه فريق عمل صغير العدد من المتخصصين في تكنولوجيا المعلومات ومن اللغويين الحاسوبيين، إلا أن ما أنجزوه خلال الثلاث سنوات الماضية بعد إنجازا كبيرًا نفخر به جميعا. وقال إن مكتبة الإسكندرية تفوقت في كم الإنجازات وجودتها على الأطراف الدولية المشاركة في مشروع UNL باعترافهم جميعًا؛ حيث إن ما حققته يعد سبقا هائلا في المعالجة الآلية للغات الطبيعية مع الأخذ في الاعتبار القدرة التصريفية والاشتقاقية العالية للغة العربية.

القدرات العقلية ما يمكنها من ولوج العالم التقني الجديد.

وتناولت الجلسة الثالثة والأخيرة في محور الثورة الرقمية موضوع «حقوق الملكية الفكرية في ظل الرقمنة». وفي هذا الصدد، أفادت سوسن بابكر أن هناك طريقتين لحماية حقوق الملكية الفكرية في ظل الرقمنة؛ وهما: الحماية القانونية، والحماية التقنية.

أما الأولى فتعتمد على التحذير قبل إعادة استخدام المواد والمعاقبة على إساءة الاستخدام، إلا أن القوانين العربية ليس بمقدورها توفير الحماية الكافية للمصنفات التي تنشر في البيئة الرقمية، إضافة إلى تعقيد التشريعات نفسها.

الموقف العربي بين السياسة والإعلام

وقاربت الجلسة الثانية محور «الموقف العربي بين السياسة والإعلام»، تحدث فيها كل من الدكتور السيد صبري؛ مشرف وحدة التغيرات المناخية بوزارة البيئة، والدكتور أحمد الكوفجي؛ أستاذ علم العقاقير والنباتات الطبية في جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، وترأسها الدكتور صلاح الجوهري..

وتناول الدكتور أحمد الكوفجي نماذج بعض الدول العربية التي تتبنى سياسات صديقة للبيئة مثل استخدام طاقة الرياح في مصر، والطاقة الشمسية في فلسطين ومصر وتونس والجزائر، وافتتاح أول مجالس عربية للأبنية الصديقة للبيئة في مصر والإمارات العربية المتحدة، وإطلاق مشروع لاحتجاز الكربون في الجزائر، وإعفاء الرسوم على المدخلات صديقة البيئة في الأردن. مشيرا إلى كون تلك الجهود هي جهود جزئية ولا تندرج تحت السياسات العامة للدول.

وفي نفس السياق، دعا الدول العربية إلى إنشاء سياسات عربية محددة للتعامل مع هذا المشهد البيئي الخطير، وإنشاء مجلس أعلى لإقرار السياسات والخطط والبرامج المناخية، وإنشاء محطات مراقبة لرصد آثار التغير المناخي، وإعداد الكوادر الفنية لرصد تلك التغيرات، وإنشاء حملات توعية وبرامج أبحاث ونظم إنذار مبكر للآثار الناجمة عن تغير المناخ.

موقف المنظمات غير الحكومية والإعلام

وجاءت الجلسة الثالثة في محور التغيرات المناخية بعنوان «موقف المنظمات غير الحكومية والإعلام»، تحدث فيها كل من الأستاذ وجدي رياض؛ رئيس قسم البيئة بصحيفة الأهرام المصرية، والأستاذ زياد المغربي؛ المنسق الإعلامي لجمعية العربية لحماية الطبيعة في الأردن، وترأسها الأستاذ إلياس الحلبي من لبنان.

وقال رياض إن قضية البيئة لا تحظى بالاهتمام الكافي من الإعلام خاصة في الإذاعة والتلفزيون، حيث يعتبرها القائمون على القنوات الإذاعية والتلفزيونية مادة غير جذابة جماهيريا، رغم أهمية التلفزيون كأداة ترويجية نظرا لمساحة المشاهدة التي يحققها. ومن خلال العمل بصفحة البيئة في الأهرام، أكد رياض أن الصحفيين يعزفون عن العمل بهذا المجال، كما أن المؤسسات الإعلامية لا تعطي التغطية البيئية الدعم المادي الكافي.

وأوضح أن نشاط العالم العربي في البيئة محدود جداً ويكاد يكون منعدم، فلم يصدر تقرير بيئي واحد حول التغير المناخي في الوطن العربي من العالم العربي، رغم كثرة التقارير الأجنبية، مشيراً إلى أن معظم الدول العربية لديها العلماء والبنية الأساسية والموارد الطبيعية الكافية، فكل ما نحتاجه هو فكر عربي يقود البيئة إلى بر الأمان.

وأفصح الأستاذ زياد المغربي عن مستوى الإعلام البيئي في الأردن المتسم بالضعف لعدم التزام الحكومة أو المنظمات غير الحكومية أو الصحافة بواجباتها في نشر برامج التوعية البيئية ونشر أخبار البيئة. وأكد المغربي أن المؤسسات الإعلامية تفتقر إلى وجود استراتيجيات بيئية على المدى البعيد، كما أن هناك صعوبة في إيجاد إعلاميين متخصصين في مجال البيئة، ولا توجد قناعة ذاتية بأهمية الإعلام البيئي لدى المؤسسات الإعلامية. وأكد المغربي على ضرورة التنسيق بين القطاعات والمؤسسات العامة والمراكز الأهلية والبحثية لنشر الجهود المبذولة في مجال البيئة، وتوعية أصحاب القرار بالمؤسسات بأهمية الإعلام البيئي، والإعداد العلمي والتقني للإعلاميين في مجال البيئة والتركيز على قصص النجاح والتجارب الايجابية في مجال البيئة في العالم العربي.

مناقشات حول المستقبل العربي

وهمت الجلسة الاختتامية محور حول «مناقشات حول المستقبل العربي». أدارها الدكتور خالد عزب، مدير إدارة الإعلام بمكتبة الإسكندرية ليؤكد أن الهدف الرئيسي من المؤتمر استكشاف كيف يفكر العرب إزاء مستقبلهم وأعلن عن تأسيس مكتبة الإسكندرية لوحدة الدراسات المستقبلية في الوطن العربي، والتي ستضم مجموعة من الباحثين الشباب في كل المجالات للتفكير في رسم سيناريوهات للمستقبل. ولفت إلى أن إسرائيل لديها 4 سيناريوهات وتصورات مرسومة وواضحة للقدس والمنطقة المحيطة بها.

وألقى الدكتور إسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية، كلمة في الجلسة الختامية للمؤتمر السابع للإصلاح العربي، مشيراً إلى أن هذا المؤتمر يمثل منعطفا هاما، واعتبره نقله من التقوقع في نقد الأوضاع الحالية والمطالبة بتغييرها إلى تشكيل صورة المستقبل الذي نريده لأنفسنا ولأمتنا ورسم المسار الذي يجب أن نتبعه لصناعة هذا المستقبل، وقال: نعم صناعة المستقبل بأيدينا، فالتجربة العالمية تشهد أن العالم تقدم بأحلام الشباب وإرادتهم.وأكد على أهمية تجديد الخطاب الثقافي العربي، فلا تغيير دون مجابهه هذا التحدي، وضرورة الاتجاه للتعددية والانفتاح وإلى تبني الثقافة العلمية والعقلانية والمنهج العلمي في التفكير.

وأوصى بضرورة إحداث هذا التغيير الجذري في الخطاب الثقافي العربي بكل ما يتضمن من تغيير في الخطاب الإعلامي وفي الخطاب الرسمي وفي الخطاب الديني، وكل ما يشمل من تبديل في رؤى بالية لوضع المرأة ومكانة الشباب. قائلاً «من المؤسف أن نجد أن تيارات معادية لهذا التجديد تتبنى أفكارا نعتبرها تعكس هذه الرؤى البالية ونراها ردة إلى الوراء، قد وجدت طريقها إلى عدد ليس بقليل من علية القوم وصناع القرار وأصحاب الرأي، حتى في أروقة القضاء المصري الرصين».

*** الشخصية العربية تعاني من خلل يرتبط بالخوف من التغيير، وأن كل ما يأتينا من الخارج نخاف منه ونفسره بنظرية المؤامرة، رغم أن الغرب استفاد من الحضارة الإسلامية.**

*** تتيح المكتبة لمستخدميها من القراء والدارسين والمهتمين الاطلاع على كنوز العالم المعرفية والثقافية عبر هذا الأرشيف الإلكتروني الذي يتضمن مقتنيات أكثر من 30 مؤسسة عالمية.**

*** نشاط العالم العربي في البيئة محدود جداً ويكاد يكون منعدم، فلم يصدر تقرير بيئي واحد حول التغير المناخي في الوطن العربي من العالم العربي**

*** ضرورة إحداث هذا التغيير الجذري في الخطاب الثقافي العربي بكل ما يتضمن من تغيير في الخطاب الإعلامي وفي الخطاب الرسمي وفي الخطاب الديني**